جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قســم الآداب واللغة العربية

محاضــرات في مقيــاس النقد الأدبـــي القديم

لطلبـــة السنـــة الأولى ليسانس (ل م د)

المحاضــرة الخامسة بعنــوان: قضيـــــة الانتحـــال

إعداد الدكتورة: سامية راجح

السنة الجامعية: 2020-2021

تعد قضية الانتحال من بين أبرز القضايا التي واجهت النقاد في الشعر العربي القديم هذه الأخيرة قد تداعت لها أقلام الكثير من النقاد.

تعريف الانتحال:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور لفظ "النحل" فقال: انتحل فلان شعر فلان إذا ادعاه أنه قائله، وانتحله: ادعاه وهو لغيره ونحله القول ينحله نحلا: نسبه إليه. ونحلته القول انحله نحلا بالفتح: إذا أضفت إليه قولا، وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلته كذا إذا انتسب إليه، ويقول نحل الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه وهي من قيل غيره.

نرى أن الدلالة اللغوية للفظة الامتحان تحمل معنى الأخذ والانتساب ...

ب-اصطلاحا:

الانتحال اصطلاحا أن يأخذ الشاعر كلام غيره، بعد علمه بنسبته له، بلفظه كله ومن غير تغيير لتعلمه، أو أن يأخذ المعنى، وتبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها»[1].

كما يقول في موضع آخر «يمكننا إيجاز مفهوم الانتحال بأنه نسبة الشعر لغير قائله، سواء أكان ذلك بنسبة شعر رجل إلى آخر، أم أن يدعي الرجل شعر غيره لنفسه، أم أن ينظم شعراً وينسبه لشخص شاعر أو غير شاعر، سواء أكان له وجود تاريخي أم ليس له وجود تاريخي: وقد التفت علماء العربية إلى هذه الظاهرة وأولوها عناية وبحثا، إذ يؤكد ابن سلام الجمحي ذلك حين يقول : "وفي الشعر مصنوع مفتعل كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد منه، ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح

[1] ينظر: حميد قبايلي، قضية الانتحال في النقد العربي القديم بين التأصيل والتجديد، ص169.

رائع، ولا هجاء ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء»[1].

فانتحال إذن هو أن ينسب شاعر قولا لنفسه ويدعيه له فينحل شعر غيره ويدعيه وهذه القضية كانت موجودة منذ الجاهلية حيث أن لها أبعاد ومدلولات عميقة جدا قد لاحت بظلالها حتى في شعر الحديث وذلك ما قد نلحظه عند طه حسين ومصطفى صادق الرافعي. إلا أن مفهوم الانتحال في هذا الموضوع لا يخرج من إطار النسب وادعاء ما قيل من الشعر لغير أصحابه سواء الذين ذاع صيتهم أم لم يذكرهم التاريخ.

1- قضية الانتحال في النقد العربي:

أ-**الانتحال عند ابن سلام الجمحي** يعد ابن سلام الجمحي من المحققين الثقاة ومن أبرز من تناول قضية الانتحال في الشعر الجاهلي وذلك في كتابه الموسوم بـ طبقات فحول الشعراء.

لقد ولد محمد ابن سلام الجمحي بالبصرة عام (139هـ-756م) وتوفي ببغداد عام (232هـ-874م) وهو من علماء أواخر الثاني من الهجرة وأوائل القرن الثالث، عرف بسعة علمه وصدق روايته عاصر الأصمعي وأبا عبيدة وأبا زيد الأنصاري وخلف الأحمر وروى عنه أبو حاتم السجستاني واحمد بن يحي (ثعلب).

- أسباب انتحال الشعر عند ابن سلام الجمحي:

أ- عامل القبلية: عند مجيء الإسلام عملت أغلب القبائل العربية في نشر دعوته فانشغلت بذلك عن الشعر فذاع أكثر، قال ابن سلام الجمحي ذاكرا قول عمر بن الخطاب: " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته، فلما انتشر الإسلام

[1] ينظر: حميد قبايلي، قضية الانتحال في النقد العربي القديم بين التأصيل والتجديد ، ص169، 170.

وجاءت الفتوحات، واطمأنت العرب بالأمصار، وراجعوا رواية الشعر فلم يجدوا ديوان مدون ولا كتاب، فألفوا ذلك، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه أكثرهم[1]. ومعنى ذلك أن القبائل حين راجعت أشعارها وأيامها ومآثرها، استغل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم، ثم كانت الرواية فزادوا في الأشعار

ب- وضع الرواة للشعر: إذا كانت بعض القبائل العربية قد زادت في الشعر كما سبق ونسبته إلى شعرائها، فإن بعض الرواة قد وضعوا أشعارا ونسبوها لشعراء لم يقولوها، وهذا أدى إلى الخلط والتزييف، فحماد الراوية مثلا كان غير موثوق به، وكان ينتحل شعر رجل غيره ويزيد في الأشعار، والرواة المنتحلون للشعر نوعان.

النوع الأول: كان بارعا في صياغة ونضم الشعر، يضيفه للجاهليين بحذق، إذ لا يمكن تمييزه إلا أهل العلم والدراية منهم: حماد الراوية وخلف الأحمر.

النوع الثاني: منتحل للشعر لكنه قليل الخبرة بالنظم ومحاكاة الشعر الجاهلي وبأيام العرب وبتاريخهم ومناقبهم ومثالبهم، أمثال ابن اسحاق الذي روى أشعارا عربية لعاد وثمود[2].

ج- الصحافيون:

راجت حركة التدوين منذ أواخر القرن الثاني للهجرة وصارت رواية الشعر وتدوينه حرفة لهؤلاء المدونين فمن أبناء الشعراء من كان ينحل الشعر ويحتذي به شعر أبيه ويضيفه له ويقدمه للمدونين فداود بن متمم بن نويره فعل ذلك قال ابن سلام:

---

[1] ينظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ج1، د.ت، د.ط، ص04.

[2] المصدر نفسه، ص28.

فأتيته أنا وابن نوح العطاردي، فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعت، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله[1].

والثابت أن المحققين من علماء اللغة والأدب رفضوا كل هذا الشعر المنحول ما لم تثبت صحة روايته فقد "رفض ابن سلام والأصمعي وأضرابهما رواية الطائفتين جميعا، فلم يقبلوا شيئا مما يرويه أشباه حماد إلا أن يأتيهم من مصادر وثيقة، وكذلك لم يقبلوا شيئا مما يرويه أشباه حماد إلا أن تأتيهم من مصادر وثيق، وكذلك لم يقبلوا شيئا مما يرويه لا عن الأمم البائدة فحسب بل عن عرب الجاهلية أنفسهم، إلا أن يجديهم عند رواة أثبات"[2].

والذي يمكن استخلاصه مما تقدم أن ابن سلام الجمحي حاول التمييز بين الشعر الصحيح والشعر المنحول بنظرة محترسة ناقدة، ومع ذلك فإن ابن سلام نفسه قد وقع في أحابيل نحل الناحلين من الرواة، لصعوبة تمييز المنحول من الصحيح فقد ذكر أشعارا لشعراء وعدها أقدم مما قالته العرب. والمتمعن في القرائن التاريخية يدرك أن الشعر الذي نسب لأعصر وذكره ابن سلام، هو ضرب من النحل "وأعصر هو ابن سعد بن قيس عيلان بن الياس بن مضر بن نزار بن معد وأعصر هذا. أن عاش فقد عاش قبل الإسلام في العصر الذي كان يعيش به موسى بن عمران أي قبل المسيح بقرون عدة، وقبل الإسلام بأكثر من عشرة قرون"[3].

بذا الاحتراز عمل قدامى النقاد كما ذكرنا على تنقية الشعر الجاهلي من وضع الوضاع.

---

[1] ينظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ج1، د.ت، د.ط ، ص40.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، (مرجع سابق)، ص165.

[3] محمد صايل حمدان وآخرون: قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع الاردن، أربد، ط1، 1990، ص17.

الانتحال عند الجاحظ:

هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (159هـ) عالج الجاحظ قضية الانتحال بخفة ودعابة، لكنه لم يخصص لها فصلا في كتاب، بل وجدنا نتفا منها متفرقة ورائدة في ذلك اعتماد العقل والمنطق والذوق والموازنة في إدراك تفاوت الشعر فيعتمد على التشكيك باللمز في بعض الأبيات التي يرويها لشعراء وبدعابة في مواضع كثيرة من كتاب الحيوان دون أن يقيم دليلا كمثل قوله وقال أمية. إن كان قالها:

رُبمَا تجزع النُّفُوس من الْأَمر لَهُ فُرْجَة كحل العقال[1]

وقال تأبط شرا. إن كان قالها:

شامِسٌ في القُرِّ حَتّى إِذا ما ذَكَتِ الشَعرى فَبَردٌ وَظِلٌّ[2]

وقد يلجأ الجاحظ إلى البيت في قضية الانتحال لا يساوره في ذلك شك فيناقش اللفظ والمعنى مناقشة عقلية ومنطقية فيقول:

"وفي منحول شعر النابغة:

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

وليس لهذا الكلام وجه، وإنما ذلك قولهم كان داود لا يخون، وكذلك كان موسى لا يخون عليها السلام (...) فإن الناس إنما يضربون المثل بالشيء النادر من فعل الرجال ومن سائر أمورهم"[3].

---

[1] الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر، ج3، ط2، (د.ت)، ص49.

[2] المصدر نفسه، ص68.

[3] المصدر نفسه، ج6، ص246.

كما ذكر بيت شعر نسبه الرواة لأوس بن حجر، وهو جاهلي وشكك الجاحظ في نسبته إليه بأدلة مقنعة جعلته في النهاية يرفضه لأنه من باب النحل يقول:

فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وهذا الشعر ليس يرويه إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس"[1].

ويذكر الجاحظ بيت الأفوه الأدوي ويؤكد ان بعض شعره موضوع والبيت:

كشهاب القذف يرميكم به ... فارس في كفه للحرب نار[2]

ويعلق الجاحظ على هذا البيت بحصافة ومنطق فيقول: "وما رويت من شعر الأفوه الأودي فلعمري إنه جاهلي، وما وجدنا أحدا من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة، وبعد فمن أين علم الأفوه إن الشهب التي يراها هي قذف ورجم وهو جاهلي، ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون فهذا دليل آخر على أن القصيدة مصنوعة"[3].

---

[1] الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر، ج6، ط2، (د.ت)، ص279.

[2] إحسان عباس: تاريخ النقد الادبي عند العرب، نقد الشعر من القرن 2 حتى القرن 8هـ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة2، 1993، ص89.

[3] الجاحظ: الحيوان، ج6، (مرجع سابق)، ص280، 281، ثم ينظر: محاضرات في مقياس النقد الأدبي القديم، سليمان مودع، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، 2018-2019، ص23.